التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية (1913م – 1954م)

- الأحمر قادة ، عطلاوي عبد الرزاق
- جامعة جيلالي ليابس.سيدي بلعباس.الجزائر elahmarkada@yahoo.fr,
- جامعة جيلالي ليابس.سيدي بلعباس.الجزائر abderazak.at@gmail.com

الملخص : **شهدت الجزائر مع بداية القرن العشرين بداية ومضات الإصلاح تلوح في الأفق، وتبشر بطلائع نهضة وطنية اقتبست رؤاها من رصيد ثقافي وفكري تناقلته الجزائر عبر أجيال حبكت تصوراتها من بريق رحلاتها وهجراتها المغاربية والمشرقية، ولعل أبرز ثمارها تمثلت في عودة المصلحين من الجامعات والحواضر العربية كجامع الزيتونة الذي تتلمذ فيه الشيخ "عبد الحميد بن باديس" رائد النهضة الوطنية، والشيخ "محمد سعيد الزاهري"، و"عبد السلام القسنطيني" وغيرهم .وعليه فقد بدا من الأهمية بيان أثر التواصل القيمي الذي كان يتم بين العلماء والطلبة الجزائريين وغيرهم من رواد الفكر والإصلاح، المتنوعة مشاربهم و المختلفة تصوراتهم والمتباينة حواضرهم، ومدى تأثيرهم على بوادر الإصلاح والتجديد في الجزائر من خلال التواصل الذي كان يتم في إطار الرحلات العلمية.**

الكلمات المفتاحية : التواصل الثقافي؛الرحلة العلمية؛الجزائر وتونس؛الحركة الإصلاحية

Cultural communication between Algeria and Tu isia in the literature of the n Algerian scientific journey (1913 - 1954) - Zaytouna complex model –

Astract— With the beginning of the twentieth century, Algeria witnessed the beginning of reformist thought looming on the horizon, promising the renaissance of a national renaissance. Its visions were derived from a cultural and intellectual balance that Algeria transmitted through generations. Its visions were gleaned from the glamor of its travels and migrations in the Maghreb and the Levant. The most salient results were the return of reformers from universities and Arab cities such as Zaytouna Sheikh Abdul Hamid Bin Badis, the leader of the National Renaissance, Sheikh Muhammad Saeed Al-Zahri, Abdul Salam Al-Qusantini and others.

It was therefore important to indicate the impact of the value communication that was taking place among the Algerian scientists, students and other pioneers of thought and reform, the diverse and differing perspectives of different cities and their impact on the signs of reform and renewal in Algeria through the communication that was carried out in the framework of scientific trips.

In this study we try to talk about the impact of scientific trips in the Algerian Renaissance, especially the scientific trips to Tunisia and the University of Zitouna, which was the destination of most Algerians seeking knowledge, considering their graduates are the pioneers of the reform movement in Algeria.

قراءة في المفهوم :

الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال، بمعنى الإشخاص والإزعاج، ويقال رحل الرجل إذ سار، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، و الترحل والارتحال الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة إسم للارتحال[1].

وقد يرتبط مفهوم اللغة في الأصل اللغوي العربي بركوب الإبل أو الجياد ونحوهما وترويضها حتى تصير راحلة، وقد نقل ابن منظور عن أبي زيد قوله: ((أرحل الرجل البعير ... إذ أخذ بعيرا فجعله راحلة...))، ثم يضيف بن منظور : ((الراحلة من الإبل، البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله))[2].

وانطلاقا من هذه المعاني يمكن القول أن تحقيق متعة الاكتشاف من ناحية والرغبة في مكابدة الشدائد، والتغلب عليها من ناحية أخرى، هما من الأضداد التي ينشدها الإنسان في الرحلة[3].

وفي الاصطلاح يمكن تعريف الرحلة بأنها: ((انتقال واحد أو جماعة، أو عائلة أو قبيلة، أو أمّة، من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة ،... وإن كان انتقال رجل أو جماعة لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية ... سميت رحلة))[4].

وعرف الإمام الغزالي السفر – الرحلة[5]– بأنها : ((نوع حركة ومخالطة، أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة - وأوضح- بأن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأن الإنسان لا يسافر إلا في غرض والغرض هو المحرك سواء تعلق بأمور دنيوية أو دينية لطلب العلم أو العبادة مثل الحج ونحوه))[6].

ومما سبق يمكن اعتبار الرحلة على النحو الآتي: هي ما يحوزه المرتحل(السائر) بغيه طلبه وغرضه، وقد تكون فنا أدبيا علميا تتوفر على مادة قيمية علمية وأدبية، تساهم في التاريخ والجغرافيا والأدب وعلم الاجتماع .

أما ما يتعلق بمفهوم الرحلة العلمية فيرى "ابن خلدون" أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم فعلى قدرة كثرة الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم، ولهذا السبب نجد أن علماء المسلمين اهتموا بها كثيرا[7].

ومنه فإن مفهوم الرحلة العلمية هو ارتحال الطالب لغرض التزود من العلوم بلقاء المشيخة والعلماء، ولكشف أمور علمية ، حتى يتم حصول كمال التعلم والمعرفة.

- **النهضة العلمية الجزائرية من خلال الرحلات العلمية في بداية القرن 20 م**

على الرغم من الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر من خلال أسلوبها الاستعماري الاستيطاني، ونظرا لما كانت تقوم به من محاولات لطمس الهوية والدين واللغة والتاريخ والوطنية، إلا أن مطلع القرن 20م

شهد ومضات الإصلاح تبشر بطلائع نهضة وطنية منبثقة من أمّة آمنت بالكفاح المشرقي المغاربي، منها الدعوات الإصلاحية، التي قامت في البلاد الإسلامية، وعودة بعض المصلحين والمفكرين من أصقاع مختلفة، بعدما ابتعثوا كطلبة للدراسة في حواضر وجامعات مختلفة وعتيدة كالأزهر والحجاز والزيتونة، التي كان لها الأثر المباشر في زحزحة الجمود الفكري و ابتلاج عصر جديد يحمل إلى الجيل المتشوق للمستقبل رؤى جديدة وخطا جادة لنهضة عميقة، تحمل في طياتها روح التحرر والاستقلال.

- **تأثير الرحلات العلمية في النهضة الجزائرية:**

والمقصود هنا عودة الكثير من الطلبة الذين درسوا في الجامعات المختلفة كجامع الزيتونة وجامع القرويين والأزهر[8] والحجاز والشام، حيث ساهم هؤلاء المثقفون بعد عودتهم إلى الوطن بجهود عظيمة في النهوض بالحياة الفكرية والدينية، بما أثاروه من همم وأحيوه من حميه، وما بنوه من مدارس مختلفة في أنحاء الوطن، فقد كانت هجرات العلماء مسارا لتهيئة الأجواء المناسبة للقيام بحركة إصلاحية في الجزائر، خاصة في ظل احتكاكهم بأعضاء الحركة الإصلاحية بالمشرق العربي، ونظرا ((لما آلت إليه الدعوة الوهابية من الغلبة والشيوع، وما أحدثه السيد "جمال الدين الأفغاني"، - تلك المبادئ الأساسية للتغير السياسي في العالم الإسلامي وما خلفه تلميذه "محمد عبده" من آثار اجتماعية كانت أكبر عون على نهضة المسلمين لتمسكه بفلسفته نحو التربية وآثرها في نهضة المسلمين))[9].

ومن هؤلاء الرواد الذين ساهموا في إثراء هذه النهضة الفكرية الإسلامية بالجزائر نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عبد القادر المجاوي[10] ، و عبد الحليم بن سماية[11] و الفضيل حسن الورتلاني[12] ،وعبد الحميد بن باديس[13].

ومما يجدر الإشارة إليه هنا، أن أغلب الرحلات العلمية خلال هذه الفترة ظهر بريق تأثيرها على الحياة الفكرية، والحركة الإصلاحية بشكل ملحوظ، في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن خاصة، وذلك من خلال روادها مثل: البشير الإبراهيمي[14] و مبارك بن محمد الميلي[15] وغيرهم كثر في هذا المجال .

- **الرحلات العلمية الجزائرية نحو تونس (جامع الزيتونة)[16]:**

على اعتبار أن منطقة المغرب العربي لها ارتباط جغرافي وتاريخي وبشري وثيق، فكان من الطبيعي أن يحدث تواصل بين مختلف نشاطات أقطارها، خاصة ما تعلق بالوعي و اليقظة والفكر والثقافة، وهذا نظرا للمصير المشترك الواقع تحت سلطة الاحتلال، وما عزز من أواصر التواصل هي الرحلات العلمية التي كانت تُشدّ نحو تونس لكونها حاضرة ثقافية كان لها الأثر البالغ في المغرب العربي منذ تأسيسهما ولغاية الفترة التي بصدد الدراسة .

ويكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن وجهة الجزائريين في رحلة طلب العلم كانت معظمها إلى تونس، لا سيما بعد أن تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي عام 1830م، وبعد أن سدت أبواب المعرفة[17] ،وما يكاد يذكر علما مرموقا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين في المجال الأدبي أوالعلمي أو الفكري أو السياسي إلا وكان قد نهل من الزيتونة أو المعاهد التابعة لها[18] ، وهذا لكونه كما يصفه "شارل أندري جوليان" إحدى القلاع الحامية للدين والتقاليد والسنة بإفريقيا الشمالية بأسرها[19] ، كما ساهم في تكوين نخبة كبيرةمن المثقفين ورجال الإصلاح وزعماء الحركة الوطنية الجزائرية[20].

- **أهمية جامع الزيتونة للطلبة الجزائريين :**

يعد جامع الزيتونة منارة أضاءت بنورها سماء بلاد المغرب العربي، كما شكل في أهميته التربوية المرتبة الثانية بعد جامع الأزهر، وقد ارتحل إليه المسلمون من الأقطار المغاربية والإفريقية لينهلوا من منابع فيضه في شتى العلوم وأصول الدين[21] ، وقد كانت علاقة الجزائريين به وطيدة موغلة في القدم، حيث احتضن العديد من الطلبة الجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم[22] ، ولم يكتف الجزائريون بأن تعلموا ونهلوا من جامع الزيتونة ومدارسه بل إن شغفهم وتفوقهم مكن الكثير منهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين[23] ، وفقهاء وفلاسفة وشعراء ومصلحين وفي مقدمتهم مطلع القرن العشرين (20 م) "عبد الحميد بن باديس" أحد نوابغ الزيتونة ورائد الدعوة العربية الإسلامية في الجزائر[24].

وعن أهميتها بالنسبة للجزائريين يقول "علي مغربي"[25]: ((وكانت الزيتونة المباركة لأبناء الجزائر الأم الرؤوم، يوم ابتلوا بعدو لا يرحم، هدم المساجد وأغلق المدارس والمعاهد وحارب دين الأمّة ولغتها بعدما جردها من عزتها ودولتها، ففتحت تونس صدرها الرحب لأبناء الجزائر كي ينهلوا من معينها القوي جامع الزيتونة))[26].

ويذكر "محمد السعيد الزاهري" : ((أن جامع الزيتونة كان أشبه بخلية النحل في ذلك العهد الزاهر، يشتهر بأكثر من شخصية علمية وأدبية تشد الرحال من الأقاصي، وكانت أمهات الكتب العربية هي المورد الذي تلتف حوله الحلقات، فكان الجامع بذلك إلتفاتة وفية للتاريخ والتراث العربيين في أقطار ثلاثة تعاني من غزو دخيل وعدو مشترك، كما كان الجامع همزة وصل للنهضة الأدبية الحديثة في المشرق والدعوة الإصلاحية المتجاوبة في أرجائه، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب و الإصلاح الديني، هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة فكثير من رجال هذه الحركة قد تخرجوا من الزيتونة وأحرزوا شهادتها العلمية))[27].

ولا يمكن كذلك إنكار فضل الزيتونة على كل من درس وتخرج منه من علماء وطلبة الجزائر ، وهذا لما عاده عليهم وعلى الجزائر في الدين وحفظ في اللغة وصيانة للأدب[28] ويقول عنه أحد خريجيه وهو "عبد الله الركيبي"[29]: ((إن فضل الزيتونة علينا جميعا كان كبيرا فقد أروت نفوسنا المتعطشة إلى العلم والمعرفة، فوجدنا

فيها ما حرمنا منه في وطننا وجنا العربية وآدابها وعلومها، هي محور ما يدرسه الطلبة فيها، كما وجدنا العناية بدراسة علوم الدين والشريعة وأصولها، هي قاسم مشترك بين من ضمتهم جدرانها))[30].

وقد أنشد "محمد العيد آل خليفة"[31] في بيان فضل جامع الزيتونة ووصفه بالأبوة وجعل نفسه إبنا وسعه هذا الكبير بالبر والحنان، وقال أنه عاش بريقه تحت سمائه، يقتبس من ضيائه وأنه عاد إلى الجزائر يذيع رسالته ويرفع ذكره:

حبنا الأعظم فيها من أب وسع الأنباء برا وحنانا

قد سبحنا أمدا في أفقه واقتبسنا من دراريه سنانا

وأذعنا من رسالات الهدى عنه كأطيب ذاكره وزانا[32].

- **الرحلات والبعثات العلمية الجزائرية نحو تونس :**

ابتدأ سفر الطلاب الجزائريين إلى تونس لطلب العلم في الجامعة الزيتونية، ومدارسها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان من هاجر إليها آنذاك أفراد قليلون،منهم "الحاج السعيد بن يوسف اليسقني" الذي رجع من تونس حوالي 1870م، فتولى التدريس في ميزاب، ثم ابتدأت الهجرة إلى تونس لطلب العلم تكثر في العقد الأول من القرن العشرين لتتوقف –الرحلات – والبعثات بعد الحرب العالمية الأولى حتى صارت تونس هي مقصد كل من يريد الثقافة العربية الواسعة[33] ، ولقد وجد الجزائريون في جامع الزيتونة موردا عذبا في الوقت الذي افتقدوا فيه إلى معلم حضاري مثله ببلادهم، ولا يدرى إلى أي مدى، كان الطلبة الجزائريون يقصدون الزيتونة قبل احتلال تونس1881 م، والظاهر كما يشير "أبو القاسم سعد الله" أن دراستهم فيه كانت محدودة قبل 1900م[34].

ويعتبر "ابن باديس" من أوائل من فتح هذا العهد الجديد مع جامع الزيتونة[35] ، وانتسب إليه عام 1908م، وأخذ العلم آنذاك عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال "محمد النخلي القيرواني" المتوفى (1342هـ/ 1924م)،و "الخضر بن الحسين"[36] ، وعدد كبير من أجلة العلماء الذين درسوا بجامع الزيتونة[37].

هذا وقد كانت الرحلات العلمية الجزائرية نحو تونس على أشكال مختلفة ، ويظهر ذالك من خلال الآتي :

1- الرحلات والبعثات العلمية غير المنظمة :

كانت الرحلات العلمية من الجزائر إلى تونس ومدارسها إحدى السمات البارزة التي ثبتت أواصر التواصل الثقافي والحضاري بينهما، وهذا من خلال ما وجده الطلبة والعلماء من غاية في تحقيق العلم وحب الاطلاع وتعزيز للإسلام والعربية، وتمتين لأواصر اللحمة التي فارق بينها الاحتلال، فكانت نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية

القرن العشرين مرحلة مهمة في حركة الطلبة والعلماء الجزائريين نحو تونس خاصة جامعها الزيتوني((الذي استقطب العديد من العلماء والطلبة الجزائريين ومن وجهات عديدة))[38].

وما يميز هذه الرحلات المبكرة أنها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرة فردية[39] ، لم ترق إلى مصاف الرحلات التي أشرف عليها مصلحون أمثال "عبد الحميد بن باديس" أو جمعية العلماء المسلمين خاصة مع منتصف القرن 20 م .

هذا ولم يكن أمر البعثات العلمية أو الطلابية نحو تونس حكرا على جمعية أو مدرسة أو شخصية بعينها وإنما شاركت فيها العديد من التيارات والمنظمات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على امتداد انتماءاتها التي تراوحت بين الاتجاه الاستقلالي الراديكالي، والاتجاه الإصلاحي المعتدل، مع إسهامات الأشخاص والمجموعات التي هي الأخرى قامت بمبادرات مميزة في هذا الباب، حيث تكفلت بعديد الطلاب الراغبين في الدراسة بتونس، ومن أمثلة ذلك، الدور الذي قام به "العقيد عميروش" بإرساله لبعثات طلابية اتجاه تونس،فكان دورهم النضالي على سبيل المثال جليا ومهما في خدمة القضية الجزائريةآنذاك[40] ومن هذه البعثات "الرزقي الأشباني"، و "محمد الطاهر آيت علجت و "محمد ارزقي" وآخرون، وكان غرض العقيد من ذلك وهدفه، أن يعودوا إلى الوطن مسلحين بالعلم في مختلف التخصصات ليتمكنوا من خدمته كل في مجاله وهذا ما وقع فعلا[41].

2- الرحلات والبعثات العلمية المنظمة :

أخذت هذه الرحلات والبعثات طابعا تنظيميا وتزامنت مع بداية القرن العشرين (20م)، خاصة في الربع الثاني منه، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي :

1-2 الرحلات والبعثات الباديسية[42]:

يعتبر الشيخ "بن باديس" من أوائل من فتح العهد الجديد من الرحلات مع جامع الزيتونة[43] ، بحيث كانت رحلته سنة (1908م) نحو جامع الزيتونة طلبا للعلم فاتحة هذا العهد بين القطرين الشقيقين، وبعد إتمام دراسته في تونس رجع إلى الجزائر وأخذ يتصل بطلبة العلم في قسنطينة وضواحيها يحرضهم على التوجه إلى تونس لإتمام دراستهم[44] ، ولذلك يرجع الفضل الكبير في إرسال الرعيل الأول للبعثات الطلابية والرحلات العلمية باعتبار رحلته فبعد عودته إلى الجزائر سنة واحدة فقط وبرعاية وتشجيع منه وصلت أول بعثة طلابية إلى تونس سنة 1913 م، إلا أن ظروف الحرب العالميةلم تمكّن الطلبة من البقاء في تونس واضطروا للعودة إلى بلادهم إلى أن وضعت الحرب أوزارها[45].

وبعد الحرب العالمية الأولى وما تبعها من تحولات هامة في كل المجالات جعل عدد البعثات العلمية إلى الزيتونة يزداد سنة بعد أخرى، ومع نهاية الربع الأول من القرن العشرين (20 م) كانت الطليعة الأولى للبعثات الباديسية والتي مثلها "محمد لمبارك الميلي" و"العربي التبسي"[46] و"السعيد الزاهري"[47] و"عبد السلام القسنطيني" و"محمد العيد آل خليفة" .... هؤلاء الطلائع الذين مثلوا بلادهم أحسن تمثيل،كانوا من خيرة الجنود الذين راهن "ابن باديس" عليهم في كسب المعركة العلمية ضد الجهل والتخلف[48] ، وكانوا السند الأساسي الذي استند إليه ابن باديس لوضع ركائز حركة علمية تربوية وإصلاحية دينية لنفض الغبار على المجتمع الجزائري وإيقاظه من سباته العميق[49].

وقد توالت البعثات في اتجاه تونس وعلى الأخص جامع الزيتونة وبتنظيم أفضل[50] حيث لم تقتصر على طلبة الشرق الجزائري فحسب، بل مست العديد من جهات الوطن[51] هذا وقد كانت الدفعات الأولى التي أرسلها "ابن باديس" نحو الزيتونة تعاني مشاكل جمّة بعد وصولها واستقرارها، حيث كان أفرادها مشتتين وغير متمرسين بالأعمال التنظيمية تنخرهم الحاجة والفاقة، وتشيد بهم الغربة ويعوزهم قلة الوعي وصلابة القيادة، وهذا ما دفع بالجمعية إلى إرسال البشير الإبراهيمي لتفقد أحوالهم والعمل على حل مشاكلهم، وذلك سنة 1932م،((فاجتمع بالطلبة وأدرك أن الأوان قد آن لجمع هذا النشأة، وتحويلها إلى قوة مؤثرة تلعب دورها الموسوم في حركة النضال الوطني الجزائري))[52].

وفعلا نظمت الجمعية صفوفهم وجمعت شملهم ووحدت تفرقهم، ووفرت لهم تنظيما قانونيا ليمارسوا العمل المنظم من خلاله، وتأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة 1934 م[53] ، ويزورهم فيما بعد الشيخ "ابن باديس" سنة 1938 م فيلقى ترحيبا واسعا لدى التونسيين والزيتونيين عامة والطلبة الجزائريين خاصة[54].

وكانت آخر البعثات التي هيأها "ابن باديس"، تلك التي صادفت قيام الحرب العالمية الثانية حيث تعطلت أغلبها مع انقطاع العلاقات، ثم موت الشيخ سنة 1940 م، فاكتفت الجمعية بإرسال بعثة واحدة تكفل بها (الحاج محمد بن دمق) وضمت : "الطيب العلوي"، و"عبد العزيز قروف"، و"مصطفى بوغابة"، و"معمر بوقصة"، و"عمار بن علاء ".

وقد تجاوز نشاط ابن باديس مجرد قيامه بتجهيز البعثات ومد الجسور العلمية المقطوعة عن تونس والزيتونة، إلى تجنيد كل الجزائريين المهاجرين والاتصال بهم خلال زياراته لتونس، وتبصيرهم بمجريات الأمور في الجزائر والإشراف على جمعياتهم وتكتيل جهودهم من أجل جزائر الغد[55] ، كما لم تخل مرحلة من مراحل الشيخ بجلائل الأعمال، والتأثير في البلاد التونسية التي كانت بالنسبة إليه مصدر إشعاع حضاري وعلمي إتّجه إليه ووجه تلاميذه مدة تفوق عقدين من الزمن، ومن وجهة نظر بن باديس، فالعلم ليس منبعه الشرق كما يذهب إلى ذلك "البشير الإبراهيمي" وغيره من الجزائريين الذين تعلموا بالمشرق العربي، وإنما العلم منبعه تونس[56] ، وهذا

ما يدل دلالة واضحة تعلق "بن باديس" بالتعليم الزيتوني وتأثره به رغم بعض المؤاخذات عليه، إلا أنه يبقى في الأخير القاعدة التي رسمت ملامح التصور الإصلاحي الجزائري كنهج فريد سار عليه الكثير من الرواد المصلحين الجزائريين، نضجت ثماره في مرحلة كانت الجزائر خلالها في حاجة ماسة إلى قاعدة جماهيرية تقوم على الدين الإسلامي كمنهج في الحياة، لأمة أرادت الثبات دون الممات،وبوطنية جزائرية أرادت الاستقلال سبيلا للنجاة .

2-2 الرحلات والبعثات الميزابية[57]:

تعد الرحلات والبعثات العلمية الميزابية من الرحلات التي أخذت هي الأخرى طبيعة تنظيمية، وهذا لانتظامها من ناحية، وإشراف الكثير من المشايخ الميزابين عليها، لضمان نجاحها، ومن ناحية أخرى استمراريتها في التوافد نحو تونس رغم الصعاب التي كانت تكتنفها خلال هذه المرحلة، وعلى هذا الأساس إعتبر الكثير من الباحثين في هذا الشأن أنها كانت من الرحلات الزيتونية المنظمة.

وعلى العموم فإن أولى الرحلات والبعثات نحو تونس والزيتونة بصرف النظر عن زمانها، كانت بقيادة الشيخ إبراهيم اطفيش[58] ، وضمّت في عدادها خيرة أبناء منطقة وادي ميزاب حينها، أمثال : "أبو اليقظان"، "صالح بن يحي"، "مفدي زكريا" ، "سليمان رمضان" "حمود عبد العزيز الثميني"، وآخرين.

وهناك من ذهب إلى اعتبار "وادي ميزاب" أسبق النواحي كلها في إرسال البعثات العلمية المنظمة إلى تونس، حيث بلغ تلاميذه في تونس بعد الحرب العالمية الأولى المئات، والكثير منهم كانوا في الزيتونة، وزاد عدد العلماء الذين تكونوا في الجامعة الزيتونية عن المائة، على خلاف المثقفين والصحفيين[59] .

ومن أهم الرحلات في هذا الباب خلال هذه الفترة، رحلة "أبو اليقظان" نحو تونس، والتي كانت سنة 1912م، ولعله عاصر بعض الوقت هناك "عبد الحميد بن باديس" كما يقول "أبو القاسم سعد الله"، والذي سبقه إلى الزيتونة ببضع سنين[60] ، وقد كانت أول بعثة ميزابية باتجاه تونس سنة 1914 م، وكان "أبو اليقظان" من بين أفرادها[61] ورئيسها، وربما كانت قد تأثرت البعثة بالحرب العالمية الأولى إلا أنها استأنفت نشاطها العلمي بعد 1920 [62].

ثم سافرت بعثة أخرى إلى تونس برئاسة "محمد الثميني" سنة 1919م، وأخرى برئاسة "الحاج الصالح بن باعلي"،فأصبحت في تونس ثلاث بعثات ميزابية في وقت واحد، وتواصلت البعثات المزابية إلى تونس بين الحربين حيث كانت النتائج العلمية ومشاركة المزابيين في الحياة السياسية بتونس والمساهمة في الحياة الأدبية، كل ذلك جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا[63].

وبتأسيس معهد الحياة في ميزاب أينعت ثمار البعثات التي كان يشرف عليها المعهد وبدا صلاح طلابه في المجال العلمي والتربوي، واستمرت البعثات الميزابية خلال السنوات 1942-1943-1944م، وسنة 1948م في

عهد "الشيخ بيوض" عندما أرسل طلبته أفواجا كثيرة إلى تونس،حيث نجحت بعثاته إلى تونس وصار طلابه في مقدمة الصفوف ومن أوائل المتفوقين(64).

وما يمكن الإشارة إليه هنا أن الرحلات والبعثات الميزابية الزيتونية قد أتت أكلها في خلال هذه الفترة، وذلك من خلال الأثر الناتج عنها في المجال العلمي التربوي الإصلاحي وإسهاماتهم في مسيرة النضال الوطني لبعث الشخصية الوطنية الجزائرية .

أثر الرحلات العلمية الزيتونية في الوعي الوطني الجزائري خلال الحركة الوطنية

لقد كان للرحلات العلمية الجزائرية الزيتونية في الفترة المعاصرة دور مهم وبارز وهذا لجلاء أثرها على الحراك الذي كانت تشهده الساحة الجزائرية وعلى جميع أصعدتها فكانت إسهاماتها من أهم العوامل التي سارعت على بعث الوطن الجزائري في مرحلة كان فيه أبناء الجزائر في حاجة ماسة إلى مثل هذه الروافد الإصلاحية، خاصة مع تعلق منها بجامع الزيتونة، لأن هناك من اعتبر أن ((حركة الإصلاح في الجزائر انبثقت وقامت واعتمدت أساسا على خريجي معهد الزيتونة))(65) ، وتوثقت بالتواصل بينها وبين معهد بن باديس الذي كان أحد فروعها.

ولقد كان للرحلات والبعثات العلمية الزيتونية دور رسالي حضاري هام وكبير في الأمة الجزائرية ، تربية وتدريسا وتعليما وتوجيها، سواء في فترة دراستها وتحصيلها العلمي أو بعد تخرجها وعودتها إلى الوطن ، واستقرارها تفرغا للعمل الإصلاحي والتعليمي(66).

ومما لاشك فيه أن طور الرحلة العلمية هو الذي ساهم في الحفاظ على ما للجزائر من تراث زاخر بأسماء الأعلام والمؤلفات، وهو الذي أبقى الجذور متقدة في نفوس الأجيال الصاعدة، الذين ترسموا خطى الآباء في اتجاه جامع الزيتونة((إن طور الرحلات العلمية التي قادها ابن باديس لم تكن استمرارا أو تمثيلا لمرحلة سابقة فقط، بل كانت أيضا طورا من البعث والإحياء وإعادة الجسور المقطوعة ، وتمركزت الجهود خلاله على تنظيم هجرات جماعية ذات أهداف محدودة لا تتعدى الدراسة ثم العودة إلى الجزائر لمباشرة مهمة تعليمية وإصلاحية، فإلى هذه البعثات يعود الفضل في صهر جميع الخلافات التي أراد المستعمر بذرها بين المناطق إثارة للفتنة))(67).

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن ما شهدته الجزائر مطلع القرن العشرين ونصفه من أثر الرحلات والبعثات العلمية العائدة إلى الجزائر قد ساهم بصفة مباشرة في استيعاب الكثير من الأفكار التحررية والقومية الوطنية، والتي كانت مبادئ ومنطلقات للحركة الوطنية الجزائرية .

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أن دراسة موضوع الرحلات العلمية الجزائرية يعد من القضايا الجوهرية في تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر، ومن ثم فإنه لا يمكن فصل مساهمة العلماء والطلبة الجزائريين في النهضة والحركة الوطنية، وذلك من خلال رحلاتهم العلمية ونضالهم في كثير من الجوانب الثقافية و الاجتماعية والسياسية و في سياق مرحلة مهمة من مراحل النضال الوطني، ومن جملة ما توصلنا إليه يمكن تلخيصه فيما يلي:

- إن التواصل الذي كان يتم في إطار الرحلات العلمية بين الجزائر وتونس مثل جسرا روحيا وفكريا وثقافيا بينهما، وبقدر ما كانت الزيتونة حاضرة فقد كانت حاضنة للعديد من العلماء والطلبة والجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم، كما لم يكتفوا بأن تعلموا ونهلوا من جوامعها ومدارسها، بل إن شغف الكثير منهم مكنّهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين وفقهاء وفلاسفة ومنظرين ومصلحين، خاصة مع مطلع القرن العشرين حين بزغت نخبة من العلماء والمرشدين أمثال الشيخ "العربي التبسي" و"السعيد الزاهري "و"عبد السلام القسنطيني" و"البشير الإبراهيمي"، فكانوا طلائع وسندا ارتكزت عليهم الحركة العلمية والتربوية والإصلاحية، كما شكلوا بدورهم طيفا مضيئا أنار درب الجزائريين من ظلام الجهل والحاقدين بعد أن أرخى سدوله على أمل وأفق الطامحين من الجزائريين .

- إن التواصل الذي كان يتم في اطار الرحلات العلمية بين الجزائر وتونس ورغم تنوع منطلقاتها واختلاف وجهاتها، فقد ساهمت في ابتلاج روافد النهضة و بلورة الوعي الوطني بالجزائر و خارجها، كأثر الرحلات العلمية الميزابية في تونس ومساهمة فاعليها في الساحة الأدبية التونسية ومشاركتهم في الحياة السياسية، مما جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا وأثرا خاصة مع تأسيس معهد الحياة في ميزاب خلال عهد "الشيخ بيوض" حتى صار طلابه في طليعة الطلبة المتفوقين في تونس، وهكذا ساهمت الرحلات العلمية نحو مختلف مراكز التعليم في بعث الوعي الوطني بحيث أخذت بعدا دينيا وثقافيا ثم سياسيا لتشكل نسقا تنظيميا مع مختلف التيارات السياسية النضالية في الجزائر لتكون في مرحلة من مراحل النضال الوطني أحد المنطلقات المهمة في مسار العمل الثوري من تاريخ النضال الجزائري.

- إن ما حمله العلماء بعد عودتهم إلى أوطانهم من مبادئ وأهداف كمنهج للإصلاح عملوا على المحافظة عليه والمكابدة من أجل ترسيخه ونشره من خلال وسائلهم التي خضعت للظروف المناطة بهم، بل أضيفت وسائل أخرى كانت غالبا ما تتزامن والمناسبات، ومنها على سبيل المثال، الرحلات وإرسال البعثات، وكلها وسائل ساهمت في تطوير الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر.

- أن نتاج الرحلات انتهى إلى وضع تصور مشترك لمختلف المشاريع المستقبلية في الجزائر في ميادين التربية والتعليم والإصلاح ومقاومة الاستعمار الفرنسي بين أبناء الحركة الوطنية، أثمرت فيما بعد بتأسيس جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة في 05 ماي 1931م والتي كان لها ولروادها الأثر الأعم في نهضة و تنوير المجتمع الجزائري.

الاحالات و الهوامش :

1 - ابن منظور : لسان العرب، مج1، تح: عبد الله علي الكبير، وآخرون، (د- ط)، دار المعارف، القاهرة، (د- ت)، ص 1609.

2 - نفسه، ص 1609 .

3 - سميرة أنساعد :(صور المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني) ، مجلة التراث العربي ،العدد 97، دمشق، 2005 ص 1.

4 - زكريا العابد : الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ، 2006/ 2007، ص 15 .

5 - ناصر عبد الرزاق الموافي : الرحلة في الأدب العربي – حتى نهاية القرن الرابع الهجري- ، ط1، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1995 ، ص 24.

6 - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ج6 ، دار الشعب ، القاهرة (د.ت) ، ص 1080.

7 - عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، تح: عبد السلام الشدادي ، ج3، ط1، خزانة بن خلدون ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، الدار البيضاء المغرب ، 2005 ، ص 226 .

8 -محمد العربي ولد خليفة : الاحتلال الإستطاني للجزائر – مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي - ، ط3، منشورات تالة ، الأبيار ، الجزائر، 2010، ص 82 .

9 - زيلوخة بوقرة : سوسيولوجيا الاصلاح الديني في الجزائر – جمعية العلماء المسلمين أنموذجا - ، رسالة ماجستير ،كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الاسلامية، جامعة باتنة، 2009، ص 115 .

10 - هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي، ولد بتلمسان سنة (1264هـ/ 1848 م) ، من كبار العلماء مصلح وسلفي وخطيب، تعلم بتلمسان وطنجة، وأكمل دراسته بجامعة القروين بفأس ثم عاد إلى الجزائر مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة، ثم بالمدرسة الكتانية ثم انتقل إلى الجزائر وولي التدريس بالمدرسة الثعالبية، نقل عنه أنه ((لايوجد أحد من أوائل الربع الأول من القرن (20 م) إلا هو من تلامذته))، من آثاره: منظومة (إرشاد المتعلمين) ، و (الدرر النحوية) وكتب أخرى، توفي بقسنطينة سنة (1332هـ/ 1913م). أنظر: عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 286.

11 - هو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمان بن حسين خوجة ، من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده تنتمي أسرته إلى أسرة تركية عريقة بالجزائر ، ولد بمدينة الجزائر سنة 1282هـ- 1866م) وتعلم بها إلى أن صار أستاذا بارزا بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة ، مات بمدينة الجزائر وكان قد أصيب بمرض عقلي لشدة ما مورس عليه من اضطهاد الاستعمار سنة (1351هـ- 1933م)، مخلفا بعض الآثار منها : رسالة " اهتزاز الأطواد و الربا من مسألة تحليل الربا " ، ورسالة " الكنز المدفون والسر المكنون " و " فلسفة الإسلام " كما له عدة مقالات نشرت في جريدتي " الإقدام " وجريدة " كوكب إفريقيا " . أنظر: عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر – من صدرا لإسلام حتى العصر الحاضر- ،ط2،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980 . ، ص 179 .

12 - هو الفضيل الورتلاني وبقال الورثلاني، ولد سنة 1900م بقرية بني ورتلان(القبائل الصغرى) من دائرة سطيف ، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ودرس العلوم والمعارف على علماء عصره مثل : الشيخ السعيد بهلول الذي تتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس وتأثر به، صار مساعده سافرا إلى فرنسا وتنقل بين القاهرة واليمن ولبنان في إطار نضاله السياسي ، له الكثير من الكتابات على شكل مقالات ودوريات منها الجزائر الثائرة، توفى باسطنبول عام (1379هـ/1959م) . أنظر: يحي بوعزير : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1995 ، ص 175،176. أنظر أيضا : محمد خير رمضان يوسف : معجم المؤلفين المعاصرين - في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم- ، ج1، مكتبة فهد الوطنية ، الرياض ، 2004 ص 488 . أنظر أيضا : محمد العيد تاورتة، مسعود

حسنين الورتلاني : العالم المجاهد الجزائري والداعية الإسلامي الكبير حسنين الورتلاني (1900- 1959م)، (د- ط)، دار الكسندر للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص ص 192 - 193 .

13 - هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ، ولد بمدينة قسنطينة عام (1308 هـ / 1889 م) ، تعلم بمسقط رأسه ثم بتونس ، أتم دراسته بجامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1911 م، انتقل إلى بعض المدن المشرقية ، يعد من كبار رجال الإصلاح والتجديد ، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين ، كان له الفضل على خلق كثير من نشئ الجزائر ، أصدر عدة صحف جزائرية منها المنتقد ، الشهاب ، الشريعة ، ومن آثاره : مجالس التذكير . العقائد الإسلامية، توفي بقسنطينة سنة 16 أفريل 1940م . أنظر:عادلنويهض : المرجع السابق، ص ص 28، 29 .

14 - هو محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي ولد سنة 1308 هـ / 1889 م في قصر الطير، في قبيلة تشتهر (بأولاد براهيم) بدائرة سطيف ، تلقى تعليمة الأول عن أبيه وعمه ثم في زاوية ابن الشريف بجبال القبائل ، هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1911م، فأتم دراسته بها، عاد إلى الجزائر عام 1921 م ، كان من أبرز مؤسسي جمعية العلماء المسلمين 1931م، ثم رئيسا لها سنة 1940 ، رحل إلى المشرق سنة 1952 م وجال في أكثر بلدانه إلى أن استقر بالقاهرة، ناضل من أجل القضية الجزائرية في محافل عدة ، عاد إلى الجزائر عقب الاستقلال، وأقام بالعاصمة إلى أن توفى 1358هـ / 1965م ، له عدة مؤلفات أهمها: (عيون البصائر) ، (أسرار الضمائر في العربية) و(فصيح العربية من العامية الجزائرية)، ومقالات كثيرة في المغرب والمشرق . أنظر : عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 13- 14.

15 -هو مبارك بن محمد بن مبارك الهلالي الميلي، ولد في الميلية (القبائل الصغرى) جيجل سنة (1316هـ / 1898م)، تعلم بتونس وتخرج من جامع الزيتونة بشهادة التطويع ، عاد إلى الجزائر 1922م، وعمل في حقلي التعليم والكتابة ، كان مؤرخا وكاتبا ورجل إصلاح، ولقب (فيلسوف الحركة الإصلاحية) أحد أقطاب جمعية العلماء من آثاره: (تاريخ الجزائر في القديم والحديث)، ورسالة (الشرك ومظاهره)، ومقالات كثيرة في الشهاب والبصائر توفي سنة (1364هـ / 1954م) . أنظر: عبد الحي الكتاني : معجم المؤلفين : المرجع السابق ص 519. أنظر أيضا: عادل نويهض: المرجع السابق ص 225- 226 .أنظر أيضا:عبد الحفيظ الجنان : " الشيخ مبارك الميلي المؤرخ المصلح " **المجلة الزيتونية**، ج10، م5، العدد 57 ، المطبعة التونسية ، مارس 1945، ص ص 270- 273 .

16 -إختلف المؤرخون التونسيون في مؤسس جامع الزيتونة، وأرجح تلك الروايات أن الذي أسسه عبيد الله بن الحبحاب سنة 114هـ ، وذكرت رواية أخرى أن الذي أسسه حسان بن النعمان، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمان بن خلدون و أبو عبد الله البكري وابن عذارى المراكشي، ويرجح أن بنائه كان في سنة 116هـ ، - 735 م غير أن هناك من يجمع بين الروايتين ، وهو ابن دينار ، فيقول أن حسان هو الذي فتح تونس و بنى بها مسجدا ، وعبيد الله بن الحبحاب زاد في ضخامته ، وقد أسس جامع الزيتونة على أن يكون محل عبادة ، ولما كان المسلمون في العصور الأولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التي تنافي ما يجب البيوت من الاحترام . وقد صار جامع الزيتونة محلا للتعلم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وأنواعها ، وابتدأ تنظيمها إلى ابتداء الدولة الحفصية سنة 603هـ ، ثم اخذ التعليم طابع النظامية مع تولي الملك أبو العباس أحمد باشا حين أصدر أمرا بتنظيم التعليم فيه سنة 1842 م، وتضمن تعيين عدد المدرسين وألزمهم بالتدريس اليومي مع ضبط المرتبات وتكوين موارد قارة من ميزانية الدولة ، إلى أن صار حاضرة ومقصد العلماء والطلبة يقصده الطلبة من كل حدب وصول .أنظر: عبد الرحمان بن خلدون : المرجع السابق، ج4، ص 241 .أنظر أيضا : أبو عبد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د- ت)، ص 37 .أنظر أيضا:ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1، تح ومر: كولان وبرو فنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 51 .

أنظر أيضا : محمد المختار محمود : " جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انجاحا " **المجلة الزيتونية**، ج2، م2، العدد 57 ، المطبعة التونسية، تونس، نوفمبر 1937، ص 50- 53 .

17 -محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر 1945- 1962، ج1، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سوريا ، 1999، ص 39 .

18 - رابح فلاحي : المرجع السابق ، ص 31 .

19 -شارل أندري جوليان : افريقيا الشمالية تسير، تعريب: منجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر ،1976.ص 16 .

20 - عبد القادر خليفي : أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر،(1899- 1983)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006- 2007م ، ص 25 .

21 - خير الدين شترة : المرجع السابق، ج2 ، ص 881 .

22 - خير الدين شترة : المرجع السابق، ج2 ، ص ص 881- 882 .

23 -رابح فلاحي : المرجع السابق ، ص 32 .

24 - محمد صالح الجابري : التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990 م، ص 33 .

25 - علي مغربي : ولد (بفرفار) ببسكرة تتلمذ في كتّاب البلدة عن أخيه سعيد وعمه الشيخ الحاج عكر،انتسب للزيتونة سنة 1928م ، انتخب سنة 1933، أمينا عاما للخلية الأولى لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، تحصل على شهادة التحصيل عام 1935، انتقل إلى شرشال سنة 1937 م، لإدارة شئون مدرسة الرشيدية إلى غاية 1939م، ثم إلى المدارس الحرة بغليزان سنة 1944 م ، وبقي ينتقل بين هذه المدارس إلى غاية 1952، وبعد الاستقلال عمل أستاذا بعدة ثانويات ، عيّن سنة 1966م عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى ، كما شغل عضوية عدة هيئات دولية ومحلية ، كما تولى رئاسة صحيفة البصائر ، له عدة مؤلفات وديوان شعري توفي في 16 جانفي 1999 م . أنظر: خير الدين شترة : المرجع السابق، ج3، ص ص 91- 92 .

26 - نفسه ، ج1، ص 252 .

27 - خير الدين شترة : المرجع السابق، ج1، ص ص 252 – 253 .

28 - محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1340 هـ 1921 م / 1395 هـ - 1975 م)، ج1، ط1، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر، 1974 ، 57 .

29 -من مواليد بسكرة ، درس بجامع الزيتونة ونال منه شهادة التحصيل عام 1954م، واصل دراسته بالقاهرة في كلية الآداب ، حاز على شهادة الدكتوراه في الأدب سنة 1972م ، اشتغل أستاذا بجامعة الجزائر، كما تقلد مناصب إدارية و دبلوماسية، كان آخرها عضو في مجلس الأمة ، له مؤلفات أدبية عديدة منها : ذكريات من الثورة الجزائرية ، الفرانكفونية، مشرقا ومغربا . أنظر: خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج3، ص ص 41- 42 .

30 -خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج1، ص 254 .

31 - هو محمد العيد بن محمد علي خليفة، ولد بمدينة عين البيضاء بالشرق الجزائري يوم (25جمادي الأولى 1322هـ) ، الموافق لـ (23 أوت 1904م) ، تتلمذ على يد الشيخ محمد الكامل ،ابن الشيخ بن المكي بن عزوز ، استقر في بسكرة حتى سنة 1918م ، وفي سنة 1921م شد الرحال إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة ، رجع إلى الجزائر سنة 1922م لمرض طرأ عليه حيث واصل تعليمه بالجزائر ، يعتبر أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ، وأحد أعضائها.توفى يوم الأربعاء رمضان 1933هـ ، الموافق لـ31جويلية 1979م . أنظر: محمد بن سمية : ((محمد العيد آل خليفة الصوفي المصلح))، ملتقيات الفكر الإسلامي - محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج3، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ،2005، ص781 وما بعدها .

32 -خير الدين شترة : المرجع السابق، ج1، ص 254 .

33 - نفسه، ج 2 ، ص ص 897 – 798 .

34 -أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، ص 491 .

35 - نفسه ، ص 491 .

36 - هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر ، ولد بنفطة يوم (23جويلية 1873) ببلدة نفطة (بتونس)، انتقل مع عائلته إلى العاصمة سنة 1888م، حيث أتم تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن ، وبعدها التحق بجامع الزيتونة حصل منه على شهادة التطويع سنة 1898م ، أصدر مجلة (السعادة العظمى) وهي أول مجلة صدرت بتونس ، قام بالكثير من الرحلات نحو مصر والشام والحجاز وتركيا ، نال من الأزهر شهادة العالمية ، وسمي شيخا له سنة 1952 م ، من مؤلفاته : أسرار التنزيل ، تونس وجامع الزيتونة الخيال الشعري .... ، توفى بالقاهرة يوم الأحد 120فيفري 1958م .أنظر: محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ،1994، ص ص 126 - 132 .أنظر أيضا : بلقاسم الغالي :شيخ الجامع الأعظم ،محمد الطاهر بن عاشور – حياته وآثاره - ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان ،1996، ص 40 .

37 -محمد بهي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح ، ط1، دار الشروق ، القاهرة، 1999، ص 32 .

38 -أحمد مريوش: "الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954م"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006م، ص 164.

39 - خير الدين شترة : المرجع السابق، ج2 ، ص 899 .

40 - نفسه ، ص ص 919- 920.

41 -نفسه، ص 921.

42 - هي الرحلات التي أشرف عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ونسبت إليه كون رحلته تعتبر من الرحلات العلمية خلال تلك الفترة ، ومن ناحية أخرى كان مساهما ومشرفا على الكثير من الرحلات العلمية المغاربية والمشرقية .

43 - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ج 5 ، ص 491.

44 -خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 912.

45 - أحمد مريوش : المرجع السابق ، ص 166 .

46 - العربي التبسي :هو الشيخ العربي التبسي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات ، ولد سنة 1312 هـ الموافق لـ 1895 م بناحية (أسطح)جنوب غرب تبسة ، حفظ القرآن الكريم وبعض المعارف ، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة (1914- 1921 م)، والجامع الأزهر (1921- 1927 م) ، ليعود إلى أرض الوطن وينظم إلى جمعية العلماء المسلمين ، كان كاتبا عاما للجمعية سنة 1943 م، تم اغتياله سنة 1957 م .أنظر: أقيس خالد : آثار العربي التبسي – دراسة فنية- ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2007، ص23. أنظر أيضا : عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 61. أنظر أيضا : كريمة عرعار : "دور جال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية" ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2006/2005م، ص 16.

47 - هو محمد السعيد السنوسي الزاهري ، ولد بقرية (ليانة) قرب بسكر ، سنة 1317 هـ ،الموافق لـ 1899 م ، درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة حتى أضحى صحفيا وشاعرا حصيفا ، كان من رجال الحركة الإصلاحية ، أصدر جريدة (الجزائر) سنة 1925 م ، و(البرق) سنة 1927 م ، و(الوفاق ق العربي) ، 1938، و(المغرب العربي) سنة 1947م، له مقالات كثيرة في صحف المشرق ، ومن آثاره : كتاب (الإسلام في حاجة إلى دعاية)، توفى سنة 1376هـ ،الموافق لـ 1956 . أنظر :عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 157.

48 -محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1983، ص 36.

49 - نفسه، ص 36.

50 -علي مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر – بحث في التاريخ الديني الإجتماعي (1925- 1940)، تر: محمد يحياتن ، (د- ط)، دار الحكمة ، الجزائر، 2007، ص 164 .

51 -محمد صالح الجابري: المرجع السابق، ص 101 .

52 -عبدالرشيد زروقة : جهاد ابن باديس ضدالاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913- 1940)،ط1،دارالشهاب،لبنان، 1999 ، ص 176.

53 -تأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين في 20 جويلية 1934 م ، وانتخب مجلسها الإداري برئاسة الشيخ المهدي البجائي، وهو أحد الطلبة المجدين الذين تشبعوا بالمبادئ الدينية والوطنية ،أما الرئاسة الشرفية فكانت للشيخ مختار بن محمود ، وهو من كبار علماء الزيتونة ، ويذكر هلال أن أول من تولى رئاسة هذه الجمعية هو الطالب بن بوزيد الأغواطي ، غير أن هناك بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن عناصر أخرى ساهمت في ميلادها ، مثل الشيخ بورنان بن نصر الدريدي الميلي ، وقد كانت لها نشاطات فكرية مكثفة ، وتشرف على استقبال الطلبة الجزائريين ، والاحتفال بتخرجهم ، وقد أسندت آنذاك رئاسة لجنة الطلبة للشاذلي المكي، الذي كان ناجحا للغاية ، إلا أنه مع بداية السنة الجامعية 1937م قدم المكتب استقالة جماعية بعد عقد الجمعية العامة في 21 أكتوبر 1937 م .أنظر: أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي: "جمعية الطلبة الجزائريين بتونس" البصائر، العدد44، 20نوفمبر 1936، ص 553.أنظر أيضا : أحمد مريوش : المرجع السابق ، ص ص 184- 193 .

54 - عبد الرشيد زروقة : المرجع السابق، ص 176 .

55 -خير الدين شترة: المرجع السابق، ج2، ص 912 .

56 -نفسه، ص 912 .

57 -وهي الرحلات والبعثات العلمية التي كانت قاعدتها ومنطلقها منطقة وادي ميزاب في الجنوب الجزائري، وبغض النظر عن زمانها ومكانها، فقد كانت ذات مردود جم على المنطقة وسكانها كونها حازت الكثير من الفقهاء والعلماء ، مثل الشيخ إبراهيم اطفيش ، والشيخ بيوض ، وقد ارتبطت ارتباطا وثيقا مع بداية القرن العشرين بالزيتونة ، الذي أصبح جامعة منقطعة النظير بالنسبة إليهم ، كما كانت مرتع الكثير من الرحلات والبعثات الميزابية .

58 -هو أبو إسحاق ابراهيم بن محمد إبراهيم بن يوسف أطفيش ، ولد في قرية بني يزقن بوادي ميزاب عام 1305 هـ، الموافق لـ 1888 م ، درس على الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ولازمه ، وبعد وفاته سنة 1914 م، انتقل إلى جامع الزيتونة حتى صار عالما ن وأديبا ن ومن كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين ، شارك في الحركة الوطنية التونسية بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، نفي إلى مصر أواخر سنة 1923 م، وأنشأ فيها مجلة (المنهاج) ، كما عمل في دار الكتب المصرية ، كان له الفضل في تأسيس أول مكتب سياسي لدولة عمان في القاهرة ، له الكثير من المقالات ، توفى بالقاهرة سنة 1385 هـ الموافق لـ 1965 م .أنظر: عادل نويهض : المرجع السابق، ص 19.

59 - خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج2، ص ص 921- 922 .

60 - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج5، ص 291 .

61 - خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج2، ص 922 .

62 -أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج5 ، ص 291 .

63 -خير الدين شترة: المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 923 - 924 .

64 -نفسه ، ص ص 924- 925 .

65 - محمد صالح الجابري : المرجع السابق ، ص 33 .

66 -عبد الرشيد زروقة : المرجع السابق، ص 178 .

67 - خير الدين شترة : المرجع السابق، ج2 ، ص 926 .